جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

العام الدراسي 2021-2022

السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الأولى

د. شذى الأسعد

الإثنوغرافيا: (Ethnography)

هي نمط من البحث النوعي، الذي يتضمن الانغماس في مجتمع أو منطقة معينة، لمراقبة سلوكهم وتفاعلهم عن قرب. تشير كلمة "إثنوغرافيا" أيضا إلى التقرير المكتوب للبحث الذي ينتجه عالم الإثنوغرافيا أو "الإثنوغرافي" بعد ذلك.

فكلمة إثنوغرافيا مشتقة من الأصل اليوناني "إثنوس" ويعني جماعة، وفيما بعد أصبح يعني ناس، أو شعب، أو أمة. و "غرافيا- graphy" وتعني الكتابة، وبالتالي علم الإثنوغرافيا هو علم تسجيل وكتابة ووصف الأعراق البشرية، والدراسات المعمقة لثقافة، أو جانب من جوانب هذه الثقافة.

كما أن الإثنوغرافيا هي طريقة بحثية نوعية تأتي من تخصص علم الإنسان "الأنتربولوجيا".

الأنثربولوجيا: (Anthropology)

التسمية مشتقة من أصل يوناني أيضا، " Anthropos" تعني الإنسان، و " Logos" وتعني العلم، أي علم الإنسان والحضارات والمجتمعات البشرية، وسلوكيات الإنسان وأعماله.

علاقة علم الإثنوغرافيا بعلوم الآثار الأنثربولوجيا :

الإثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثربولوجيا، فعندما قام الأوربيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا وأستراليا وآسيا حيث وصفوا أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يتصل بثقافاتهم المادية المختلفة سرعان ما تبنى الأنثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري ، أما في علم الآثار فقد استخدمت هذه المعلومات من المجتمعات البدائية والبسيطة والتقليدية لنماذج لمجتمعات ما قبل التاريخ والتاريخ القديم وذلك عن طريق عقد المقارنات البسيطة وحتى أسماء ووظائف

الأدوات التي توجد في المواقع الأثرية أخذت من ما هو معروف لدى الشعوب البسيطة التي درسها ووصفها الإثنوغرافيون . وهكذا فإن استخدام الإثنوغرافيا في الآثار قديم قدم العلم نفسه.

وبالتالي نجد أن لعلم الإثنوغرافيا فائدة كبيرة في إيجاد تفسير منطقي في كثير من المسائل التي يعجز الآثاريون عن تفسيرها بسبب فقدان المخلفات المادية لشعب ما في المواقع الأثرية.

على صعيد آخر، نرى أن بعض الأنثروبولوجيين العرب يتفقون على أن مصطلح إثنوغرافيا يطلق على الدراسة التي تعتمد على وصف ثقافة ما في مجتمع معين وتعتمد على منهج البحث الوصفي أو منهج الوصف معتمدا على الملاحظة المباشرة والمشاركة أحيانا ويوجه عنايته بالثقافات الإنسانية والظواهر الإجتماعية بالوصف الدقيق .إذ كان من المسلمين العرب ابن بطوطة والأوروبيين كريستوف كولومبوس قد قاموا بذلك تلقائيا دون أن يقصدوا التأسيس لهذا العلم.

ظروف نشأة الإثنوغرافيا :

اذا ذهبنا الى ظروف نشأة هذا النوع من الدراسات فسوف نرى أن لعصر النهضة دورا جوهريا بحيث كانت فترة النقاهة السياسية والإقتصادية والديمغرافية التي مرت بها أوروبا بعد أهوال حرب المائة سنة والطاعون الأسود، كل ذلك كان سببا في تنامي الاهتمام بوصف الأوضاع السائدة هناك ، بحيث تؤرخ بداياتها بشكل اصطلاحي ـ مع سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك عام 1453 ، وهذا ما تسبب في هرب مثقفي المتوسط الشرقي نحو أوروبا الجنوبية،بالإضافة إلى ذلك تأثر الرجال والنساء المثقفين باكتشافات البحارة بعد عام 1450 "هنري البحار" الأمير البرتغالي الذي مول أولى رحلات الاستكشاف (إيراسموس)، كما أن ايزابيلا ملكة إسبانيا في ذلك الوقت قد أولت ثقتها لكريستوف كولمبوس، بالإضافة إلى الملكة اليزابيت ملكة بريطانيا التي أطلقت بلادها لفتح العالم .

اكتشافات تقنية قادمة من المتوسط الشرقي (البوصلة ، دفة السفينة، الشراع المثلث..) أتاحت بناء نموذج جديد من السفن عرف باسم "كارافيل" وتميزت بقدرة كبيرة على مجابهة الرياح العاتية. ساهمت كل هذه الاكتشافات في بلوغ الأوروبيين كل شعوب العالم وتمكنوا من رسم الخرائط لشواطئها البحرية و مناطقها البرية التي مكنتهم من ملاقاة شعوب مجهولة وغريبة اثارت فضولهم واهتمامهم . فانطلق هؤلاء من جمع من التساؤلات تأتي على رأسها: هل هؤلاء بشر ام حيوانات؟ هل لهم تكوينمماثل؟ أهم من سلالة آدم؟ واذا كان الجواب نعم ، فكيف تفرقوا هكذا وعلى أثر أية هجرات؟ كلّها تساؤلات جوهرية انطلق منها العديد من مؤسسي ورواد الإثنوغرافيا وأعدّوا مادة اثنوغرافية وفيرة بجمع أكبر قدر من المعلومات حول شعوب متفرقة ومختلفة في مناطق متباينة من العالم.

الجوانب التي تميز علم الإثنوغرافيا عن منهجية البحث:

هناك عدة جوانب تميز علم الإثنوغرافيا عن مناهج البحث، الفارق الأول هو أن الإثنوغرافيا تستغرق فترات طويلة من الزمن، فقد يقضي الإثنوغرافيين سنة واحدة على الأقل يعيشون بين أفراد الثقافة التي يدرسون بها، وتسمح هذه الفترة الطويلة من جمع البيانات للسكان المحليين بفرصة التعرف والتعود على الإثنوغرافي، وهذا أيضاً يسمح للإثنوغرافي ببناء علاقة مع السكان المحليين، وحتى اليوم مازال علماء الإثنوغرافيا يقضون أكبر وقت ممكن في جمع البيانات، لكن ليس بالضرورة سنة كاملة.

الفارق الثاني: هو أن الإثنوغرافيا تعتمد على ملاحظة المشارك كوسيلة أساسية لجمع البيانات، فعندما يصبح الإثنوغرافي منغمساً تماماً في ثقافة شعب معين، فإنه لا يلاحظ الظاهرة قيد الدراسة فحسب، إنما يصبح مشاركاً في الحياة اليومية، والهدف هو فهم ممارسة أو مجموعة من الممارسات داخل هذه الثقافة.

فعلى سبيل المثال، لن يقوم إثنوغرافي يدرس الممارسات الدينية للثقافة بحضور الشعائر الدينية فحسب، بل سيشارك فيها أيضاً، لأن هذا سيتيح له فهم الممارسات حقاً.

وأخيراً الفارق الثالث: في أن هذه الفترة التي يقضيها الإثنوغرافي في العيش مع ثقافة أخرى تعتمد غالباً على طرق أخرى لجمع البيانات وذلك مثل الملاحظات الميدانية، والمقابلات،

والدراسات الاستقصائية، وهي عبارة عن سجلات يومية مكتوبة تصف الحياة اليومية والأحداث التي شهدها الإثنوغرافي وشارك فيها، والملاحظات اليومية مفصلة وصفياً بدرجة كافية حتى يتمكن شخص أخر من قرائتها ويشعر وكأنهم كانوا مع الإثنوغرافي.

وسائل البحث الإثنوغرافي:

(المراقبة المشاركة، الاستجواب، المخبر، الاستمارة، المترجم).

أولاً: المراقبة المشاركة:

لكي يفهم أو يقرأ الباحث المجتمع وثقافته، لا يكفي مراقبة نشاطات وممارسات الناس اليومية فقط، بل يجب تفهم منظور هؤلاء الناس إلى العالم حولهم. لأن هذا المنظور هو الذي يبرز ويعلل سلوكهم وممارساتهم....ألخ.

ومهما قيل من تبريرات وشروح فليس من الضروري أن تكون كافية أو دقيقة الصحة لتفسير الممارسة أو السلوك الملحوظ لأن في الكثير من الأحيان يكون شرح أو إجابة المعلم متحيزة أو مشوهة نوعا ما – على سبيل المثال دراسة (مارغريت ميد) عن الثقافة السماوية في جزر السماوي في جنوب شرق آسيا. في دراستها وصفت (مارغريت) المجتمع السماوي كمجتمع منفتح ومتسامح بالنسبة للعلاقات الجنسية بناء على الروايات والأكاذيب التي لقنها إياها المراهقين السماويين. وإنما الحقيقة فهي على العكس من ذلك، ولكن الباحثة أخذت بهذه القصص الأحاديث لأنها كانت تتناسب مع نظرتها الفرضية عن المجتمعات البدائية وكان لديها رغبة بطرحها لإظهار الحياة البسيطة وغير المعقدة في جزر السماوي.

وعندما سئل هؤلاء المراهقين عن سبب كذبهم، قالوا أنهم أحسوا أن الباحثة (مارغريت) تبحث عن أجوبة مثل التي عرضوها عليها، ولذلك سعوا في إرضائها من خلال أجوبتهم.

هذا المثال يوضح صعوبة العمل الإثنوغرافي، وضرورة الموضوعية في جمع المعلومات عبر المراقبة، أي الدراسة الدقيقة لهذه المعلومات لكي ندرس ونتفهم الثقافة ينبغي على الإثنوغرافي أن يسجل ويجمع في البداية كل ما يلاحظه من أفكار وسلوك ونشاطات.

بالتزامن مع عملية الدراسة والتحليل والبحث عن النماذج في هذا السلوك المرتبط بهذا المجتمع أو الثقافة.

إن عملية جمع المعلومات والملاحظات والمراقبات تحتاج إلى مهارات مختصة، مثل القدرة على كتابة الملاحظات بسرعة وبدون إثارة الانتباه، استخدام الكاميرات وغيرها من أدوات التسجيل.

هناك أيضا مشكلات اجتماعية يجب أخذها بعين الاعتبار، مثل مواجهة اعتراضات على تصوير أو تسجيل بعض الأشخاص أو الشعائرأو الطقوس الدينية أو بعض الممارسات اليومية الخاصة، لأنها تمس أو تعارض التقاليد أو العادات المحلية، أو لأنها سرية للغاية ولا يريدون مشاركة الناس بها والتعرف عليها.

وبما أن معظم الناس والمجتمعات تضع حدود لما يسمح بروايته والمشاركة به من قبل الغرباء، يجب على العالم الإثنوغرافي، وكذلك الأنثربولوجي أن يتفهم هذه الأمور ويحس بها، وأن يحاول بقدر الإمكان ألا يزعج الجماعة التي يحاول دراستها، وإلا قد يتعرض البحث إلى الفشل- على سبيل المثال: فإن مجتمعات الآميش في الولايات المتحدة الأمريكية لهم قوانين وتعقاليد وأعراف خاصة جدا، ولا يسمح بالتعرف على بعض طقوسهم أو مشاهدتها والمشاركة بها. وقد أصبحت هذه الجماعات مع الوقت، أكثر حرصا على مشاركة الأغراب بأمورهم الخاصة، وهناك نوع من فقدان الثقة بينهم وبين علماء الإثنوغرافيا والأنثربولوجيا. وذلك بهدف المحافظة على طقوس هذه المجموعة وتقاليدها وحمايتها قدر الإمكان من الضياع الاندثار.

ثانياً: الاستجواب:

الجزء الأكبرمن البحث الإثنوغرافي يعتمد على استجواب الناس عن نشاطاتهم اليومية، ففي العادة تبدأ عملية الاستجواب بأسئلة سطحية، ومجرد ما تصبح لدينا فكرة عامة عن المجتمع المدروس تبدأ عملية التعمق بالأسئلة والبحث في تفاصيله وخصوصياته.

ولكي تنجح عملية الاستجواب، لا يكفي في الكثير من الأحيان – طرح السؤال وتوقع الإجابة أن تكون كاملة وجاهزة فورا وبكل بساطة مفهومة، وسبب ذلك أنه لا ينبغي على الباحث الإثنوغرافي أن يعرف كيفية طرح الأسئلة، فلكل مجتمع طريقة خاصة لطرح الأسئلة، وأسلوب خاص للإجابة عليها، تعتمد على نوع السؤال، ووضع السائل والمسؤول، وعلى سبيل المثال فهناك مواضيع قد لا يجوز طرحها أمام النساء والأطفال أو لربما مواضيع إذا سئل منها بشكل مباشر قد تستدرج إجابة كاذبة وفي بعض الأحيان تثير الاستياء أو الغضب من السائل لكون الموضوع معيب أو مخزي.

ثالثاً: المخبر:

الميدان هو مخبرعالم الأنثربولوجيا الثقافية، يذهب الأنثربولوجي وكذلك الإثنوغرافي للقيام بالبحث الميداني إلى موطن الشعب الذي اختاره موضوعا للدراسة، فيستمع إلى حديثهم، ويزور بيوتهم، ويحضر طقوسهم، ويلاحظ سلوكهم العادي، ويسألهم عن تقاليدهم، حتى تصبح لديه فكرة شاملة عن ثقافتهم، أو يحلل جانبا خاصا من جوانبها. وإذا أراد الإثنوغرافي الحصول على معرفة كاملة بالثقافة، أصبح استخدام المخبرين ضروريا، لأن النزهة في الحقول لا يمكن أن تمتد إلى مالا نهاية، ولن يقع خلال مدة البحث الميداني كل الحوادث أو الوقائع التي يضمها سجل ثقافة ما. فقد لا يقع في الجماعات الصغيرة حادث ولادة أو زواج أو مأتم خلال إقامة الإثنوغرافي، أو قد لا يسمح له بمشاهدته إذا وقع. ومع ذلك يجب أن تتضمن دراسة أي ثقافة من الثقافات وصفا لمثل هذه الطقوس الهامة والظروف التي يطرأعليها تبدلات مستمرة، لذلك يتم التغلب على هذه الصعوبات باستخدام مخبر، وأفضل طريقة للاستفادة من المخبر في مناقشة الحوادث التي شاهدها الإثنوغرافي ولا سيما تلك التي شاهداها الإثنوغرافي والأنثربولوجي معا. ويمكن مع الزمن الاعتماد على المخبر للوصول إلى وصف للحوادث النموذجية التي لم يشاهدها الإثنوغرافي في حياة الجماعة، كالحوادث التي تقع في الشتاء مثلا بينما يقوم الإثنوغرافي بأبحاثه الميدانية في الصيف، ويصبح العمل تعاونا تقريبا عندما تصبح الرابطة بين الإثنوغرافي والمخبر علاقة وثيقة.

رابعاً: الاستمارة:

قامت فكرة إعداد استمارة شاملة تغطي كل جوانب الثقافة المادية وغير المادية، على الإدعاء بأن جميع ثقافات الشعوب البدائية مهددة بالزوال، وعلينا أن نحصل على أكثر مما يمكن من المعلومات عنها خلال وجودها، وبأنه لا يوجد العدد الكافي من الإثنوغرافيين والأنثربولوجيين المتدربين للقيام بمثل هذا العمل، لذا يجب اللجوء إلى أشخاص غير مدربين مثل ضباط المستعمرات، والتجار، والسائحين، بأكثر مما يمكن من الفائدة تؤدي هذه الطريقة إذا استعملها ملاحظ غير مؤهل للبحث الإثنوغرافي والأنثربولوجي إلى جمع كثير من الوقائع، ولكنها لا تعطي الكثير من المعلومات، سواء عن كيفية ارتباط هذه الوقائع ببعضها في الكل الذي يؤلف الثقافة، أو عن العنصر الإنساني في الحياة اليومية لدى شعب ما. ولكنها تساعد الباحثين المختصين في التحقق من النقاط التي قد يكونوا أهملوها سابقا. وهذا ما دعا مجموعة من الأخصائيين إلى وصفها بأنها مذكرة يدوية للإثنوغرافي والأنثربولوجي الذي يقوم ببحث ميداني.

خامساً: المترجم:

إذا كان الإثنوغرافي لا يتحدث لغة المجتمع الذي يقوم بدراسته، يتوجب عليه استخدام مترجم، ولكن يؤدي استخدام مترجم إلى مشاكل عديدة، إذ يجب على الإثنوغرافي في أن يكسبه لجانبه، ويجب ألا يقتصر المترجم على فهم موضوع البحث بل أن يكون متحمسا لعمله. والترجمة في أحسن الحالات عمل صعب يجب الانتباه فيه بوجه خاص إلى نقل الأسئلة والأجوبة بكل وضوح ودقة، وقد يصبح المترجم مخبرا ممتازا، ويتوسع غالبا في الجواب وقد يعطي من تلقاء نفسه معلومات لها دلالة خاصة. ومن الضروري استخدام عدة مترجمين، مستقلا كل منهم عن الآخرللتأكد بشكل أضمن من صحة المعلومات المنقولة، وللحصول على فكرة عن أنواع العقائد والسلوك في ثقافة ما.

يستخدم الإثنوغرافي مبدئيا أي وسيلة لغوية في متناوله فيتكلم لهجة هجينة إذا وجدت، وفي نفس الوقت يحاول أن يتعلم ويتمكن من اللغة المحلية إلى أكبر درجة ممكنة، وهذا يعني عدم استخدام مترجمين، لأنهم قد يساعدون الإثنوغرافي في عمله. إن معرفة كلمة أساسية من اللغة المحلية يمكن أن تكون وسيلة للتحقق من صلاحية عمل المترجم.

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

العام الدراسي 2021-2022

السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الثانية

د. شذى الأسعد

حضارة المايا

تاريخها، وشعبها، وكيف اختفت وماذا تبقى منها

شعب المايا : هم من السكان الأصليين للمكسيك، وأمريكا الوسطى الذين استوطنوا بشكل متواصل الأراضي التي تضم المناطق المعاصرة المعروفة بولاية (يوكاتان) جنوب شرق المكسيك، و(كامبيتشي) و(تاباسكو) و(تشياباس) في المكسيك، وصولاً إلى الجنوب عبر غواتيمالا ،والسلفادور، وهندوراس.

تسمية حضارة المايا : تأتي تسمية المايا من مدينة مايابان القديمة في ولاية يوكاتان، وهي آخر عاصمة لمملكة المايا في فترة ما بعد الكلاسيكية (ما بين 900 ميلادي حتى الغزو الإسباني في أوائل القرن السادس عشر).

يشير شعب المايا إلى أنفسهم من خلال الروابط العرقية واللغوية مثل شعب الكيش في الجنوب، أو شعب اليوكاتيك في الشمال . (على الرغم من وجود العديد من الشعوب الأخرى).

أثارت حضارة المايا الغامضة اهتمام العالم منذ إعادة اكتشافها في أربعينيات القرن التاسع عشر على يد (جون لويد ستيفنز) و(فريدريك كاثروود)، ولكن في الواقع، فإن الكثير مما يتعلق بتلك الثقافة ليس بهذا الغموض عند فهمه كفاية. وعلى عكس المعتقد العام، لم تنقرض حضارة المايا بالكامل، إذ لا يزال أحفاد الأشخاص الذين بنوا مدنها العظيمة موجودين على نفس الأراضي التي كان أسلافهم يعيشون فيها وهم ما زالوا يواصلون ممارستهم القديمة،

أحيانًا في شكلها المعدل، ويتبعون تقريباً نفس الطقوس التي سيتعّرف عليها أسلافه منذ ألف عام.

أصول المايا:

يُقسّم تاريخ أمريكا الوسطى عادة إلى فترات محددة تكشف مجتمعة عن تطورالثقافة ،وتطور ظهور حضارة المايا وثقافتها. وهي:

- **العصر القديم _ 7000-2000 قبل الميلاد** : خلا ل هذا الوقت، بدأت جماعات الصيادين في زراعة المحاصيل مثل الذرة والفاصوليا ء والخضروات والنباتات الأخرى، وانتشر تدجين الحيوانات أبرزها الكلاب والديوك الرومية. وتم إنشاء أوائل القرى في المنطقة خلال هذه الفترة، كما ضمّت المواقع المقدسة والمعابد المخصصة لمختلف الآلهة. يعود تاريخ بعض القرى إلى 2000-1500 قبل الميلاد.
- **فترة الأولمك _ 1500-200 قبل الميلاد** :تُعرف هذه الحقبة أيضًا باسم فترة ما قبل الكلاسيكية، أو الفترة التكوينيةعندما ازدهرت حضارة الأولمك، وهي أقدم ثقافة في أمريكا الوسطى. واستقر شعب الأولمك على طول خليج المكسيك ، كما بدأوا في بناء مدن كبيرة من الحجر والطوب. تميزت هذه الحقبة أيضاً بـمهارة متطورة للغاية في النحت تشي إليها منحوتات رؤوس الأولمك الضخمة.

  أدى الحجم والنطاق الهائل لأنقاض حضارة الأولمك (أول حضارة كبرى في غواتيمالا والمكسيك) إلى ولادة فكرة أن الأرض كانت مأهولة من قبل عمالقة. على الرغم من أن لا أحد يعرف من أين جاء الأولمك، ولا ما حدث لهم، إلا أنهم وضعوا الأساس لجميع الحضارات المستقبلية اللاحقة في أمريكا الوسطى.

- **فترة الزابوتيك_ 600 قبل الميلاد - 800 ميلادي**: تأثر الزابوتيك بشكل واضح بحضارة الأولمك(أو ربما ارتبطوا بهم) ، انتشروا في المنطقة المحيطة بولاية أواكساكا الحديثة، تم تأسيس الموق ع الحضري الثقافي المعروف الآن باسم (مونتي ألبان)، ومن خلالهم انتشرت بعض أهم العناصر الثقافية في المنطقة مثل "الكتابة" و"الرياضيات" و"علم الفلك" و"استخدام التقويم" كل ذلك سيأخذه المايا ويحسنوه.
- **فترة تيوتيهواكان _200- 900 ميلادي**: خلال هذه الحقبة، نمت مدينة تيوتيهواكان العريقة من قرية صغيرة إلى مدينة ذات حجم وتأثير هائلين في وقت مبكر، كما تشير الدلائل الأثرية إلى أن هذه المدينة كانت مركزًا دينيًا مهمًا مكرسًا لعبادة الإلهة الأم العظيمة وزوجها الثعبان ذي اللون الأزرق. كان الإله الثعبان هو الإله الأكثر شعبية بين المايا. مثل العديد من المدن التي باتت الآن في حالة خراب في أمريكا الجنوبية، تخلى السكان عن مدينة تيوتيهواكان في وقت لاحق حوالي 900 ميلادي.
- **فترة (إل- تاخين) 250-900 ميلادي**: تُعرف هذه الفترة أيضًا باسم الفترة الكلاسيكية في تاريخ أمريكا الوسطى وشعوب المايا. يشير اسم (إل تاخين) إلى مجمع المدينة الكبير على خليج المكسيك والذي تم اعتباره واحد من أهم المواقع في أمريكا الوسطى. خلال هذه الفترة، ظهرت المراكز الحضرية الكبرى في تلك الأرض وبلغ عدد المايا الملايين.من هم الأشخاص الذين سكنوا (إل تاخين) على وجه التحديد هو أمر لا يزال مجهولًا، حيث تواجد هناك أكثر من خمسين مجموعة عرقية مختلفة، إلا أن الهيمنة على المدينة قد نُسبت إلى كل من المايا والمكسيكيين.
- **فترة المايا الكلاسيكية 250- 950 ميلادي**: ه ذا هو العصر الذي شهد توطيد سلطة المدن الكبرى، وفيها يمكن رؤية التأثيرات الثقافية المباشرة والمستمدة من شعوب "الأولميك" و "الزابوتيك"، والقيم الثقافية المستمدة من بعض المدن مثل "تيوتيهواكان" و "إل تاخين" ولكن في أماكن أخرى يبدو أن ثقافة جديدة تمامًا قد ظهرت، مثل مدينة "تشيتشن إيتزا" حيث فبللرغم من الأدلة الكثيرة على الاقتراض والتؤثر الثقافي، إلا أنها امتلكت أسلوب مختلف تمامًا في الفن والعمارة.

كانت هذه الفترة هي ذروة حضارة المايا التي أتقنوا فيها "الرياضيات"،"علم الفلك" و"الهندسة المعمارية "و"الفنون البصرية" وأيضًا صقلوا "التقويم" وحسنوه. أقدم تاريخ تم تسجيله في هذا العصر هو على اللوح التذكاريفي مدينة تيكال (292 ميلادي) وآخرها من نقش على لوح تذكاري في موقع تونينا (909 ميلادي). امتدت مدن حضارة المايا من مدينة بيست في الشمال وصولاً إلى هندوراس الحديثة في الجنوب.

- **فترة ما بعد الكلاسيكية 950 -1524ميلادي**: في هذا الوقت تم التخلي عن مدن المايا العظمى. وحتى وقت قريب، لم يتم تحديد أي تفسير للنزوح الجماعي من المدن إلى المناطق الريفية البعيدة، ولكن تم اقتراح بعض الفرضيات التي تنص على أن تغير المناخ وزيادة عدد السكان من بين الاحتمالات الواردة. في ذلك الوقت استولت "تولتك"، وهي قبيلة جديدة في المنطقة، على المراكز الحضرية الشاغرة وأعادت إعمارها.

حينها ارتقت كل من مدينتي"تولا" و"تشيتشن إيتزا" لتصبحا مدينتين مهيمنتين في المنطقة. أما المفهوم الشائع على نطاق واسع بأن المايا طردوا من مدنهم من قبل الغزو الإسباني، فهو مفهوم خاطئ لأن المدن كانت بالفعل شاغرة بحلول وقت الغزو الإسباني. (في الواقع، لم يكن لدى الغزاة الإسبان أي فكرة عن أن السكان الأصليين الذين وجدوا في المنطقة كانوا هم من بنوا تلك التجمعات المدنية الهائلة).

ثقافة المايا: أنتجت ذروة حضارة المايا في الفترة الكلاسيكية تقدمًا ثقافيًا لا يُصدق عُرفوا به عالميًا. كان المايا يؤمنون جدًا بالطبيعة الدورية للحياة أي بنظرهم: (لم "يولد" أي شيء على الإطلاق ولم "يمت" شيء قط)، وقد ألهم هذا الاعتقاد وجهة نظرهم عن الآلهة والكون. بدورها، شجعت وجهات نظرهم عن الكون جهودهم الحثيثة والفريدة في الهندسة المعمارية والرياضيات وعلم الفلك.

تحت الأرض وجد العالم المظلم المعروف بـ "شيبالا"، ويُترجم إلى «مكان الخوف» حيث نمت شجرة الحياة العظيمة التي شقّت الأرض وشهقت إلى السماء، عبر ثلاثة

عشر مستوى للوصول إلى جنة "تاموانشان"أي (السماء الضبابية) موطن الأزهار الجميلة. ومع ذلك، في اعتقاد المايا، فإن المرء لا يموت و لايذهب إلى "الجنة" أو "الجحيم"، بل يشرع في رحلة نحو تاموانشان.

تبدأ هذه الرحلة في العالم السفلي المظلم عالم شيبالا حيث سكانه الأصليون الذين يعيشون هناك أكثر ميلًا لخداع الأرواح وتدميرها من مساعدتها وصولا إلى النعيم ، كانت الطرق الوحيدة التي يمكن للروح من خلالها تجاوز "شيبالا" والسفر على الفور إلى "تاموانشان" هي الموت أثناء الولادة ، أو كقربان ، أو في الحرب ، أو في ملعب الكرة، أو عن طريق الانتحار، إذ كان لدى المايا إلهة انتحار خاصة تسمى (إيزتاب) صوّرت كجثة امرأة متعفنة معلقة بحبل في السماء. بمجرد وصول المرء إلى تاموانشان، سيلقى هنالك السعادة الأبدية، ولكن يجب ملاحظة أن هذه الجنة لم يُعتقد أنها موجودة في السماء ولكن على الأرض.

بعد الصعود عبر المستويات الثلاثة عشر، لن يعيش المرء في الهواء، بل على جبل روحاني على هذا الكوكب أيضاً. بسبب هذه الرؤية الدورية، لم يعتقد المايا أن هناك أي خطأ في التضحية البشرية. هؤلاء الأشخاص الذين قُدِّموا للآلهة لم "يموتوا" بل انتقلوا ببساطة لحياة أخرى. أثر هذا الاعتقاد على كل جانب من جوانب حضارة المايا وجرى تنفيذ الطقوس المقدسة بانتظام في الكهوف، التي تستدعي ظلام شيبالا وعلى التلال أو المعابد العالية التي ترمز إلى مرتفعات تاموانشان.

- الأهرامات العظيمة التي تميز العديد من مواقع المايا هي نِسخ طبق الأصل للجبل العظيم المخصص للآلهة والمعروف باسم "ويتزوب.Witzob".
- أما تقويم المايا الشهير فهو انعكاس للطبيعة الدورية للوجود البشري وكيف تقوم تجسدات العديد من الآلهة والإلهات بوظيفتها في مساعدة الناس خلال دورات الحياة أو إعاقتها.

الكتاب الديني العظيم لشعب المايا، كتاب "البوبولفو"، يروي بالضبط هذه القصة عن الطبيعة الدورية للحياة من خلال قصة التوائم البطل وانتصارهم على قوى الفوضى والظلام التي يرمز إليها أسياد شيبالا. واللعبة التي اشتهر التوأم بلعبها، هي لعبة "

بوك آتوك"، تخدم نفس الغرض.كانت بوك آ توك هي اللعبة الأكثر شعبية بين المايا، بل اعتبرت أكثر من مجرد لعبة لأنها ترمز إلى النضال البشري وتعكس الطريقة التي ينظر بها شعب المايا إلى الوجود. فريقان متنافسان من سبعة رجال يواجه كل منهما الآخر في ملعب كرة ويحاولان تسجيل الأهداف بكرة مطاطية صغيرة من خلال طوق عمودي مثبت على الحائط (أحيانًا يصل ارتفاعه إلى 6 أمتار في الهواء، وأحيانًا أعلى) أثناء الدفاع عن مرماه. ما يجعل اللعبة أكثر إثارة للإعجاب وصعوبة هو أن اللاعب لا يستطيع استخدام اليدين أو القدمين، فقط الوركين والكتفين والرأس والركبتين.

كتب الأسقف الإسباني (**دييغو دي لاندا**) أن مشاهدة مباراة "بوك آتوك" كانت أشبه بمشاهدة قصف البرق، إذ تحرك اللاعبون بسرعة ورشاقة كبيرة. ولطالما ساد الاعتقاد بأن الفريق الخاسر (أو قائد الفريق الخاسر) سيُقتل في نهاية المباراة، لكن التطورات الأخيرة في فك رموز المايا، إلى جانب الأدلة الأثرية، تشير إلى أنه ربما كان الفريق الفائز أو قائده هو من سينال شرف الموت السريع والانتقال الفوري إلى الجنة. إذ يُعتقد أن اللعبة كانت رمزية، ليس فقط لتجسيد انتصار التوائم البطل على الظلام، ولكن لطبيعة الحياة الدورية.

أيًا كان الفريق الذي تم اختياره للموت، وتحت أي ظروف، كانت لعبة الكرة ذات مغزى عميق للمايا باعتبارها أكثر من مجرد رياضة للتسلية. وحتى الآن تظهر المزيد من المعلومات حول تفاصيل اللعبة، وحياة المايا القديمة بشكل عام، مع اكتشاف المزيد والمزيد من البقايا وتفاسيرها.

الكتابة الهيروغليفية لحضارة المايا:

نتبع الصعوبة في فك رموز الهيروغليفية لحضارة المايا من تصرفات نفس الرجل الذي احتفظ، عن غير قصد، بالكثير مما نعرفه عن حضارة المايا، ونحن هنا نتكلم عن الأسقف (دييغو دي لاندا). الذي قام بمهمة طرد الوثنية من المايا المتحولين حديثًا إلى المسيحية.

كان مفهوم الإله الذي يموت ويعود إلى الحياة مألوفًا جدًا لدى شعوب المايا ، ويبدو أنهم قبلوا قصة يسوع المسيح وقيامته بسهولة. ومع ذلك، ظهر فصيلًا تخريبيًا ينمو بين المايا بدأ يغويهم بالعودة إلى عبادة الأصنام، وبعد أن فشلوا في سحق هذا التمرد المتحفّظ من خلال سبل الصلاة والوعظ، اختاروا طريقة أخرى أكثر مباشرة.

في 12 تموز 1562، في كنيسة ماني، حرق أكثر من أربعين كتابًا من مخطوطات المايا وأكثر من 20000 صورة ولوح. نجت ثلاثة كتب فقط من كتب المايا في حريق ماني وهي "مخطوطة مدريد"، و"مخطوطة دريسدن"، و"مخطوطة باريس" (سميت بهذا الاسم نسبة للمدن التي أعيد العثور عليها فيها بعد سنوات عديدة من إعادتها من يوكاتان) والتي زودت العلماء بقدر كبير من المعلومات حول معتقدات المايا، وخاصة عن تقويمهم الشهير .أنشئت هذه المخطوطات من قبل الكتبة الذين قاموا بملاحظات دقيقة في علم الفلك (مخطوطة دريسدن وحدها تخصص ست صفحات لحساب ارتفاع ومواقع كوكب الزهرة بدقة) ، وتعرض تفسيراتهم للكواكب والفصول بدقة لا مثيل لها في الحضارات القديمة الأخرى.

تقويم المايا:

يوجد تقويمان يعملان في وقت واحد في نظام المايا: "ه آبHaab"، وهو تقويم مدني يتألف من 365 يوماً، ومقسم لـ 18 شهرًا ،كل شهريتألف من 20 يومًا لكل منها، وتقويم "تزولكي"Tzolkin، أو التقويم المقدس، مدته 260 يومًا مقسمة إلى ثلاث مجموعات من الأشهر المكونة من 20 يوم. يعمل التقويمان معًا، مثل التروس المتشابكة في آلة، لإنشاء ما يُعرف باسم «دورة التقويم» ولكن لا يمكن حساب التواريخ المستقبلية لأكثر من 52 يومًا.

للحسابات الأطول، ابتكر المايا ما يُعرف باسم التقويم الطويل، وهذا ما جذب الكثير من الاهتمام الدولي في السنوات الأخيرة فيما يتعلق بنهاية العالم في 21 كانون الأول 2012. نظرًا لأن تقويم العد الطويل يبدأ في 11 آب 3114 قبل الميلاد، فإنه يدخل في دورته التالية (المعروفة باسم باكتون) في 21 كانون الأول 2012 ميلادي.

لا يوجد شيء في كتابات المايا المتبقية يشير إلى أي نوع من الكوارث المصاحبة لهذا التحول. وفي 10 أيار 2012، تم الإبلاغ عن اكتشاف لعالم الآثار بجامعة بوسطن (ويليام ساتورنو) وطالب الجامعة (ماكسويل تشامبرلين)، أثناء التنقيب في موقع للمايا في غواتيمالا، حيث اكتشفوا غرفة بحجم 6×6 أقدام يعود تاريخها إلى 800 ميلادي والتي يبدو بشكل قاطع أنها كانت ورشة عمل تقويمية لكتبة المايا.

تُظهر اللوحات والنقوش على جدران الغرفة تقويم يمتد إلى ما بعد عام 2012، وأنه كان من المعروف أن الباكتون(الدورة) المستقبلية جارية بالفعل في الرقص الدوري العظيم للزمن. وفقًا لـ "ديفيد ستيوارت "، الخبير في كتابات المايا الهيروغليفية بجامعة تكساس في أوستن، "كان الباكتون 14 قادمًا، والباكتون 15 والباكتون 16... تقويم المايا سيستمر على مدى السنوات القادمة.

كيف ولماذا انتهت حضارة المايا:

لطالما كان أحد أكثر الألغاز إثارة للاهتمام في التاريخ القديم هو لماذا انهارت حضارة المايا فجأة، وهي حضارة معقدة بشكل ملحوظ تألفت من أكثر من 19 مليون شخص، في وقت ما خلال القرنين الثامن أو التاسع؟ على الرغم من أن شعب المايا لم يختف تمامًا كما ذكرنا إلا أن عشرات المناطق الحضرية الأساسية في الأراضي المنخفضة لشبه جزيرة يوكاتان، مثل "تيكال"، انتقلت من كونها مدن صاخبة مليئة بالحياة إلى أطلال مهجورة على مدار ما يقرب من مائة عام (في القرن العاشر).

اقترح العلماء والأشخاص المهتمون عددًا لا يحصى من النظريات التي تفسر ذلك التحوّل العجيب، بدءًا مما هو معقول (الصيد الجائر، الحروب، وتمرد الفلاحين) إلى ما هو غير منطقي (الغزو الفضائي، والقوى الخارقة للطبيعة). في كتابه «الانهيار» الصادر عام 2005، طرح (جاريد دايموند) نوعًا مختلفًا من النظريات التي قالت أن الجفاف المطوّل، المتفاقم بسبب إزالة الغابات غير المدروسة، أجبر سكان المايا على التخلي عن مدنهم. جرى توثيق هذه الفرضية بالأدلة الأثرية والبيانات البيئية والنتائج المنشورة في دراستين بعد 7 سنوات.

الدراسة الأولى قام بها قام باحثون من جامعة ولاية أريزونا بتحليل البيانات الأثرية من جميع أنحاء يوكاتان للوصول إلى فهم أفضل للظروف البيئية وقت التخلي عن المنطقة. حيث وجدوا أن الانخفاض الحاد في هطول الأمطار اقترن بارتفاع معدل إزالة الأشجار، إذ قام شعب المايا بحرق وتقطيع المزيد والمزيد من الغابات لتحويلها للأراضي زراعية. ومن المثير للاهتمام، أنهم احتاجوا أيضًا إلى كميات هائلة من الخشب لإشعال النار لشواء الجص الجيري من أجل منشئاتهم، يقدر الخبراء أن الأمر احتاج 20 شجرة لإنتاج متر مربع واحد من حجارة البناء.

الدراسة الثانية، التي نشرها باحثون من جامعة كولومبيا، قامت باختبار البيانات المجموعة على أساس هذه الفرضيات. فباستخدام السجلات والقياسات السكانية من الأراضي الحرجية التي جرى قطع أشجارها في المنطقة، قاموا ببناء نموذج حاسوبي يحاكي إزالة الغابات في يوكاتان وأجروا عمليات محاكاة لمعرفة كيفية تأثير ذلك على هطول الأمطار.

نظرًا لأن الأرض التي تم قص اشجارها تمتص إشعاعًا شمسيًا أقل، فإن كمية أقل من المياه تتبخر من سطحها، مما يجعل السحب وهطول الأمطار أكثر ندرة. ونتيجة لذلك، أدت الإزالة السريعة للغابات إلى تفاقم الجفاف الشديد بالفعل، أدت إزالة الغابات إلى خفض هطول الأمطار بنسبة 5 إلى 15 في المائة وكانت مسؤولة عن 60 في المائة من إجمالي الجفاف الذي حدث على مدار قرن من الزمان ، عندما انهارت حضارة المايا.

في الوقت الذي باتت فيه الكثافة السكانية غير مسبوقة، كان من المحتمل أن يكون هذا المزيج من العوامل كارثيًا. إذ منيت المحاصيل بخسائر كبيرة، خاصة أن الجفاف حدث بشكل مفرط وغير متوقع خلال موسم النمو الصيفي. ومن قبيل الصدفة، تحولت التجارة من الطرق البرية، التي عبرت قلب أراضيهم المنخفضة، إلى الرحلات البحرية، نظراً لأن النخبة والأثرياء اعتمدوا إلى حد كبير على هذه التجارة -جنبًا إلى جنب مع فوائض المحاصيل السنوية- لبناء الثروة، فقد استُنزفت الكثير من

قوتهم مع الوقت. أجبر هذا الفلاحين والحرفيين على اتخاذ خيار حاسم لا مناص منه للهروب من الجوع، ألا وهو التخلي عن الأراضي المنخفضة والانتقال لمكان أخر. والنتيجة هي الآثار الباقية التي ما زالت تمتد إلى يومنا هذا.

المايا اليوم:

في العصر الحديث، لا يزال شعب المايا يزرعون نفس الأراضي ويسافرون في نفس الأنهار كما فعل أسلافهم من الشمال في ولاية يوكاتان. الادعاء بأن شعب المايا قد اختفوا بالكامل بطريقة ما، لمجرد العثور على مدنهم مهجورة، ليس فقط ادعاء غير دقيق ولكنه مهين لأكثر من ستة ملايين الأحياء من المايا الذين يواصلون تقاليد أسلافهم.

على الرغم من أن المنطقة تحولت للمسيحية بعد الغزو ، إلا أن التقاليد القديمة لا تزال تُرى في مزيج بين الكاثوليكية الأوروبية وتصوف الماي ا . وبالنسبة للمايا الذين يعيشون اليوم، فهم لم ينسوا أي شيء منها ودورة الحياة تستمر بالنسبة لهم.

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

العام الدراسي 2021-2022

السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الثالثة

د. شذى الأسعد

الأميش

الأميش:بالإنجليزية**Amish** ، وهي طائفة مسيحية نشأت في العصور الوسطى،و يعود ظهور هذهالطائفة إلى حركة الإصلاح الديني، التي قادها رجل الدين السويسري، "جيكوب أمان"، الذي عاش في الجزء الألماني من سويسرا، في القرن السابع عشر الميلادي، وكان مؤمناً بالتعميد المسيحي بعد بلوغ الثامنة عشرة من العمر، واسم هذه الطائفة مشتق من اسم عائلته باللغة الألمانية "أميش ."وبسبب الاضطهاد السياسي والديني لأتباعه بعد وفاته، اضطر الكثير منهم إلى الهجرة إلى العالم الجديد، وتحديداً إلى منطقة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وبسبب التسامح الديني الذي ساد في القرون التالية، انتشر الآمشيون في العديد من الولايات الشمالية الأمريكية، وفي ثلاث مقاطعات كندية. والأميش طائفة مسيحية سلفية، متشددة في تفسيرها للإنجيل والتعاليم الكنسية، لكنّها طائفة مسالمة جداً، وتعفو عمّن يؤذيها أو يسيء لأفرادها، إلا أنّها تفضل الانعزال عن الشعب الكندي أو الأمريكي تماماً، ولا يشرب الأميشيُّ الخمور، ولا يستمع للموسيقى، ولا يرقص، كما أنّه لا يملك بطاقات شخصية أو رخصة قيادة سيارة، ولا يوجد له قيد في السجلات المدنية، ولا يُلحق القوم أطفالهم بالمدارس الحكومية أو الجامعات، ولا يقبلون بالمعونات الحكومية ، ولا يترشحون للانتخابات، ولا ينتخبون، وقد يدفعون الضرائب لكنّهم لا يقبلون أخذ أيّ راتب

تقاعدي تقدمه لهم الدولة، لأنّ ذلك كلّه يتعارض مع تعاليم تفسيرهم المقدس للإنجيل، المسمى عندهم بـ"الأوامر القديمة ."يقدر الأميش الحياة الريفية والعمل اليدوي والتواضع، وكل ذلك تحت رعاية العيش بما يفسروه على أنه كلمة الله . أما بالنسبة للأعضاء الذين لا يتوافقون مع تطلّعات المجتمع والذين لا يمكن إقناعهم بالتوبة. فبالإضافة إلى الحرمان من حقوقهم، يتجنبهم مجتمع الأميش ويعيشون بمعزل عنهم، هي ممارسة تحد من الاتصالات الاجتماعية لتهدي الفرد الضّال لكي يعود إلى الكنيسة . ويختار ما يقرب من 90 % من المراهقين الأميش أن ينضمُوا إلى الكنيسة. وتسعى مجموعات الأميش إلى الحفاظ على درجة من الانعزال عن العالم غير الأميشي. وبشكل عام، يُركز بشدة على العلاقات بين الكنيسة والأسرة. يدير الأميش عادةً مدارسهم المكونة من غرفة واحدة ويتوقفون عن التعليم الرسميّ بعد الصف الثامن، وعندما يبلغ الأطفال سن 16 عامًا، يتلقون تدريبًا مهنيًا تحت وصاية والديهم والمجتمع ومعلم المدرسة. التعليم العالي غير مشجع بشكل عام، لأنه يمكن أن يؤدي إلى الفصل الاجتماعيّ وتفكك المجتمع. ومع ذلك، استخدمت بعض نساء الأميش التعليم العالي للحصول على شهادة تمريض حتى يتمكنَّ من تقديم خدمات القبالة للمجتمع.

اللغة: يتحدث الآميش بلهجة اللُغة الألمانية البنسلفانيَّة ، كما يتعلم الأطفال أيضًا اللغة الإنجليزيَّة في مدارسهم، ويتحدث الكبار الإنجليزية بطلاقة مع الغُرباء. تُدرس المدارس أيضًا اللغة الألمانيَّة القديمة، والتي تُستخدم في الوثائق الدينيَّة. تُستخدم الكلمات الإنجليزيَّة مثل الثلاجة والكمبيوتر أحيانًا في الكلام. يَشعُر بعض الآميش بالقلق إزاء الاستخدام المُتزايد للغة الإنجليزيَّة . كما يُشير الآميش إلى جميع الغرباء بشكل جماعي باسم "الإنجليز". معظم أسماء الآميش من أصل سويسري ، تشمل الألقاب الأكثر شيوعًا ميلر ، ويودر، وترويير، وكينج وشوارتز، وفيشر، ولاب...الخ.

المجتمع :في مُجتمع الأميش، الرجل هو رئيس الكنيسة ويعيش حياة العمل والمُجتمع والمنزل. رعاية المنزل والأطفال هي عالم المرأة. للمرأة الحق في التصّويت في الكنيسة، لكن ليس لها حق الوصول إلى المناصب القياديَّة في المُجتمع.

لا يمتلك الآميش هيكل تنّظيمي مركزي، الهياكل التنظيميَّة لمُجتمعات الأميش فضفاضة وغامضة، وليس لديهم بيروقراطيَّة أو مقر أو رؤساء تنفيذيون. بدلاً من ذلك، المُجتمع عبارة عن شبكة من العلاقات الشخصيَّة. تحت أُسقُف طائفة صغيرة ومُوحدة، جميع الرجال متساوون نسبيًا. هناك عدد قليل من الأثرياء ، ولا يوجد فقر تقريبًا . في مُجتمعات الأميش، يتم استجواب الجُناة أمام المُصلين بأكملهم ويُصدِر الأُسقُف الحكم . أقسى عُقوبة هي ستة أسابيع من الانفصال عن المُصلين . إذا لم يتُوب الجاني عن أفعالِه خلال تلك الفترة، فسيتم طرده من المُجتمع بأسره. ومع ذلك، سيظلّ الفرد التائب قابلاً للدُخُول مرة أخرى .ولا يجب رفض الفرد المفّصول: يمكن التحّدث معه، ولكن لا يجُوز مُصافحته مثلا، ولا تلّقي شيء منهُ.

الأسرة: يتزوّج الأميش بين سن 19 و25 عامًا، و 90٪ من البالغين مُتزوجون. الطلاق مُقيت ويؤدي إلى الانفصال عن المُجتمع؛ تلدّ المراة ما معدله 7 أطفال في سن بينالعشر سنوات و 45 سنة، و10 % من العائلات لديها ما لا يقل عن عشرة أطفال . ومع ذلك، فقد انخفض حجم العائلات بشكل طفيف في السنوات الأخيرة في بعض المُجتمعات . تُعتبر تربية الأطفال رخيصة الثمن في مُجتمع لا توجد فيه هوايات باهظة الثمن حيث يشارك الأطفال في الأعمال المنزليَّة منذ سن مبكرة.

الأبوة والأمومة :الأميش يُربي أطفاله طيبين ومطيعين، ويقضون على الأخلاق السيئة والعِناد في سن مبكرة. يُشارك الأطفال في الأعمال المنزليَّة في وقت مُبكر ويتم تربيتهم كأعضاء غير أنانييّن في المُجتمع. وفقًا للشعار المستخدم في المدرسة: "يسوع يأتي أولاً وأنت أخيرًا والآخرون في المنتصف "، لا يتم إيداع الأطفال في رياض الأطفال أو دور الحِضانة، ولكن الآباء يربون أطفالهم في سن ما قبل المدرسة في المنزل.

الدين والعقيدة :الأميش هم مسيحيون يؤمنون بألوهية المسيح، والجنة والجّحيم، وبكلمات الكتاب المُقدس. بقيت أساسيات إيمانهم على حالها منذ عام 1632. بالنسبة إلى الأميش، الإيمان جزء كلي لا ينفصل عن الحياة، ونادرًا ما يمارسون المراسيم الدينية الفعليةساعة في صباح يوم الأحد، وفي حفلات الزفاف. يقيمون خدمات العبادة في منازل

بعضهم البعض كل يوم أحد ويعتبرون مبنى الكَنيسة الدائم بمثابة تفاخر . يجّتهد الأميش في خدمة الله قدر استطاعتهم وتقديم خلاصهم للرب. والخلاص في نظرهم يعتمد على الأعمال وليس على الإيمان، يبنون حياتهم على الكتاب المقدس، على الرغم من أنهم نادراً ما يقتبسونه مباشرة في حديثهم. يُقرأ الكتاب المقدس في اجتماعات مُشتركة، ولا يُسمح بتفسيرات الفرد خوفًا من ظهور الفرديَّة ، يستخدم الأميش الكتاب المُقدس الألماني لمارتن لوثر، أو نسجة الملك جيمس الإنجليزية.

الطقوس: طُقوس الأميش تقليديَّة ولا تتغيّر: حفلات الزفاف والتعميد والجنازات تتبع بروتوكول صارم ومعروف . يحتفل الأميش بأكثر الأعياد الأمريكيَّة شيوعًا مثل عيد الفصح، وعيد الميلاد ، وعيد الشكر ،ورأس السنة الجديدة، بالإضافة إلى بعض الأعياد السويسريَّة القديمة. ولا يوجد عمل ولا مال يوم الأحد، تُقام خدمات العبادة صباح كل يومين في منزل شخص ما. يدخل الرجال والنساء من أبواب مُختلفة ويجلسون على مقاعد مُختلفة. لا تشاركالمرأة في العِبادة، لكنها تقوم ب إعداد الوجبات. يتضمن الحفل أغنية جماعية وخطبتين تدوم أطولهما ساعة. بالإضافة إلى صلاة الراكع. كل شيء متواضع وتقليدي قدر الإمكان. تستمر الخدمة ببطء وتنتهي في حوالي الساعة 3 مساءً، وقد يكون الحضور طوعيًا أو مطلوبًا.

يتم تعميد الأميش بين سن 16 و22 عامًا، غالبًا قبل عام من الزواج أو قبله. المعموديَّة تعني تبني قواعد المُجتمع لبقية حياتك.

الأعُرس تقام بعد موسم الحصاد، يومي الثلاثاء والخميس من شهر نوفمبر " تشرين الثاني". وتُقام مراسم مُتواضعة لمدة ثلاث ساعات ونصف الساعة في الخارج في منزل العروس. بعد ليلة الزفاف، يعيش الزوجان بعيدًا عن والديهما حتى الربيع، عندما يؤسسان منزلًا مشتركًا. لا يوجد شهر عسل، لكن الزوجين يقضيان عطلة نهاية الأسبوع معًا بالتناوب مع أقاربهما المختلفين.

يختلف تقليد جنازة الأميش إلى حد ما من منطقة إلى أخرى. ومع ذلك، يغّسل الأقارب المتوفى قبل وصول الجنازة. يرتدي المُتوفى الملابس البيضاء بشكل رئيسيّ، وأحيانًا ترتدي الزوجات فساتين زفافهن. التسليم نفسه منظم بشكل جيد ورسمي. شواهد القبور بسيطة.

الملبس: فساتين الأميش متواضعة وتقليديَّة. فمن خلال لباسهم، لا يُعبرون عن تواضعهم فحسب، بل يُعبرون أيضًا عن تكاتفهم والمُساواة المُتبادلة. يرتدي الأطفال أيضًا ملابس مشابهة لملابس و الديهم. غالبًا ما تُصنع الملابس في المنزل، ولكن يتم شراء الملابس الداخلية والسترات الرجال.

ترتدي النساء غطاء رأس يعبر عن الخضوع لله والرجل في سن ال ثامنة،ويعتمرن قبعات سوداء تخفي شعورهنّ، ويستبدلن تلك القبعات، بقبعات بيضاء بعد الزواج . يتم ربط شعر الفتيات بالضفائر. لدى النساء البالغات انقسام في منتصف الشعر، وكعكة في الخلف. لا تقص المرأة شعرها أبدا. يمتد لباس الشابات على الأقل تحتالركبتين. الفساتين أحادية اللون من الرمادي إلى الأزرق أو العنابي، وترتدي النساء المريلة فوقها. كما يتم ارتداء الملابس السوداء أثناء الحِداد.

يقوم الرجال بقص شعرهم من شحمة الأذن. لا يوجد انقسام وتمتد الخصلات إلى منتصف الجبهة. يحلق الرجال غير المتزوجين، ولكن بعد الزواج أو بلوغ الأربعين من العمر، يطلق الرجال اللحية. ومع ذلك، يتم حلاقة الشارب حيث انهم يربطون الشارب بالضُباط الأوروبيين. يرتدي الرجال دائمًا قبعة واسعة الحواف في الهواء الطلق. يبدأ الأولاد في ارتداء القبعة عندما يبلغون من العمر عامين. تستخدم قبعات القش في الصيف، والقبعات الصوفية السوداء في الشتاء. تستخدم الحمالات مع البنطلونات وليس الأحزمة. عادة ما يكون اللون أسود، لكن القميص قد يكون ملونًا بدرجة أكبر.

كان لباس بعض المسؤولين مهددا في السبعينيَّات عندما بدأ القانون يشترط ارتداء الخوذات في مواقع البناء. ومع ذلك، تم إعفاء الأميش من الاستمرار في ارتداء الخوذات.

يحاول الأميش أحيانًا تحدي قواعد اللباس. حيث كان آباء الكنيسة قلقين بشأن الفتيان اللواتي لا يرتدون القبعات والفتيات اللواتي يرتدين الحجاب الهزيل للغاية. في الخمسينيَّات

والسبعينيَّات من القرن الماضي، قام أولاد الأميش المتمردون بقص شعرهم والتخي عن القبعات.

الصحة:لا يزال معظم الأميش يُنجبون ستة أو سبعة أطفال، وكان الانخفاض الكبير في معدل وفيات الرضع والأمهات في القرن العشرين في صالحهم. حيث يفضل الأميش الولادة في المنزل أو مراكز الأمومة في كثير من الأحيان نسبيًا .يُعتبر أسلوب حياة الأميش صحيًا حيث يقومون بالعمل اليدوي، ويأكلون الطعامَ الصحي والطازج، ولا يشربون الكحول. ونتيجة لذلكفإن السمنة نادرة.

التقنيات الحديثة :الأميش يعتمد بشكل انتقائي علي التكنولوجيا الحديثة. إنهم يرفضون التلفزيون تمامًا، لكنهم يسمحون بالكهرباء. استخدام الهاتف غير مسموح به تمام ومن غير المسموح ملكيته أيضا ، المنازل لا تحتوي على أجهزة كهربائية .غالبًا ما يستخدم الغاز للإضاءة والتدفئة. ومع ذلك، توجد أسوار كهربائية على المراعي وأضواء كهربائية على العربلتالتي تجرها الخيول. وتستخدم المصابيح التي تعمل بالبطاريات كمصابيح قراءة.

المواصلات:لايركب الأميش الخيل علي ظهورها، حيث يُحظر أيضًا ركوب السَّيارات وامتلاك الدراجات. تمتلك عائلة أميش العادية كلبًا أو اثنين من الكلاب الألمانيَّة ، بالإضافة إلى 6-8 حصان عمل، ويعتبر الحصان جزءًا مهمًا من هوية أميش وثقافتها وفولكلورها.

هناك مجموعة متنوعة من العربات التي تجرها خيول الأميش،بعض العربات مفتوحة والبعض الآخر من العربات مغطاة ويمكن أن تستوعب جميع أفراد الأسرة. العربات متواضعة وموحدة من الخارج، ولكن تستخدم أحيانًا مجموعة متنوعة من الملحقات والديكورات داخل العربات ، حيث تحتوي بعضها اليوم على أضواء وعاكسات. لا يشترط أن يكون لدى الأميش رخصة قيادة أو اختبارات الجدارة على الطريق، والأضرار التي تلحق بك بسبب الخيول يتم تمويلها عمليًا من عائدات السياحة . السفر في الطائرات محظور لدى الأميش لأنه غير ضروري بالنسبة لهم ويتطلب منهم الذهاب إلى مناطق حضرية.

الصناعات:لفترة طويلة، كانت الزراعة هي المهنة الرئيسيَّة لمعظم الأميش وجزءًا أساسيًا من أسلوب حياتهم وواجبهم المسيحي. ولكن بدأت الصناعات الأخرى في الانتشار بشكل

أكبر بعد الركود في الثلاثينيَّات، حيث أن ارتفاع أسعار الأراضي الزراعيَّة ،بالإضافة إلى التوسع السريع في عدد سكان الأميش، والرغبة في سد احتياجات العدد المتزايد للسكان، دفع لانتشار أنواع أخرىمن العمل بحلول السبعينيَّات . وبالتالي انتشرت الصناعة إلى جانب الزراعة كمصدر للرزق.

في عام 2001، كان ثلث هؤلاء السكان يعملون، حوالي 85 % من النساء ربات بيوت، لكن العديد منهن يعملن بدوام جزئي، وإن كان ذلك غالبًا في المنزل. ويسعين جاهدات للعمل بالقرب من المنزل قدر الإمكان، ويعمل 60 % من الرجال أيضًا من المنزل. أكثر أشكال الأعمال شيوعًا في الأميش هي المتاجر الصغيرة، وورش الأعمال اليدوية، وصناعة الأثاث والأدوات المنزلية. يوجد حاليًا حوالي 9000 إلى 10000 شركة،وتمثل شركات الأميش حوالي 10 % من إنتاج الأثاث في الولايات المتَّحدة. كما تتسم صناعات الأميش عامة ومنها صناعة الأثاث، والصناعات اليدوية كالألحفة مثلا تتسم بالدقة والمهارة والإتقان، فقد اكتسبت صناعاتهم سمعة جيدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

لا بد من الإشارة إلى أن بعض مديري أميش قلقون بشأن أجواء العمل خارج المجتمع ويخشون أن تكون التأثيرات الخارجيَّة ضارة بالمجتمع.

السياحة:بدأ أسلوب حياة الأميشفي العقود الأخيرة ،بجذب الأمريكيين العاديين الذين يريدون رؤية أسلوب حياة بسيط. حيث يزورمناطق الأميش السكنيَّة كل عا م أكثر من 19 مليون سائح.تقدم الشركات السياحيَّة: الجولات، وركوب العربات، والزيارات، والإقامة الليليَّة في منازل الأميش. كما يبيع الأميش حرفهم وطعامهم للسُيَّاح ،ويعملون كمرشدين سياحيين أيضاً. العلاقة بين الأميش والسياحة ذات شقين، حيث يجلب السائحون الأموال إلى المنطقة، ولكن من ناحية أخرى، الأمر غير مريح للكثير منهم، ويشعرون أن السياحة تجعل الأشياء التي يعتبرونها مقدسة لهم وتقاليدهم المقدسة ليست إلا سلعة سياحية في السوق.

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

العام الدراسي 2021-2022

السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الرابعة

د. شذى الأسعد

النبك عاصمة جبل القلمون

موقعها. عدد سكانها. مناخها. منظرها. المشاهد المحيطة بها:

كانت النبك حتى القرن التاسع عشر، قرية كبيرة أو بلدة صغيرة واقعة على بعد 79 كم شمالي دمشق، في منتصف الطريق بينها وبين حمص وفي طرف صحراء سورية، وكان يسكنها في ذلك الوقت حوالي ثلاثة آلاف من المسلمين، وخمسمئة نسمة من السريان، والروم الكاثوليك. أكثر من عشرين في المئة يقرأون قراءة بسيطة، وكذلك يكتبون بشكل بسيط.

تطل بيوتها على سهل فسيح، وتحيط بمساكنها من الشرق والشمال حدائق وبساتين وكروم تسقى من نهرها المشهور بعذوبة مائه وبرودته وصفائه، ويأتيها هذا الماء بقناة آرامية على زعم بعضهم، ورومانية على زعم غيرهم، ذات آبار عديدة إلى الجنوب الغربي منها.

النبك مشهورة بجودة مناخها وطيب هوائها البارد والجاف. صيفها لطيف لا يعرف الحر إلا قليلاً، وشتاؤها بارد وقاس إلى درجة قصوى، حيث تنخفض درجة الحرارة في الشتاء إلى 20 درجة تحت الصفر، ولا ترتفع في الصيف إلى أعلى من 29 درجة إلا نادراً جداً. لكن بردها مع شدته خال من الرطوبة ولا يسبب أي ضرر.

وموقع النبك، على هذه الربى والتلال المنحدرة نحو الشمال، فوق ذاك السهل الفسيح وتلك الجنان والبساتين التي ينساب بينها نهرها الصافي، جعل سكانها يعمدون إلى بناء مساكنهم على وضع يستفيدون منه ووجهة تجعلها متممة لكثير من الشروط الصحية والاقتصادية.

فجاءت هذه المساكن منبسة في منحدرات تلك الروابي بعضها أعلى من بعض، مؤلفة من طبقتين، متجهة بنوافذها نحو الشمال، لا يمنع بعضها سكان البعض الآخر من التمتع بتلك المناظر الطبيعية الجميلة.

فأول ما يرى الإنسان أمامه الجنائن والبساتين والكروم، ومن ورائها ذلك السهل الفسيح، وبعده تلال وربى سلسلة لبنان الشرقي بأحراجه وثلوجه في الشتاء.

بناياتها: كان النبكيون كما ذكرنا سابقاً يسكنون مساكنهم بطبقتين، على وضع يستفيدون منه صحياً واقتصادياً، فيبنون نصف الطبقة السفلى بحجارة صلبة، ونصفها الأعلى باللبن ويسقفونها بخشب "اللزاب" الذي يستحضرونه من منطقتي (فليطة والمعرة) لأنه رخيص ومتين جداً. وكانوا يخصصون هذه الطبقة لدوابهم ودواجنهم ولحفظ التين والوقود وآلاتهم الزراعية. ويبنون الطبقة العليا باللبن ما عدا الأبواب والنوافذ فإنها من الحجر "الكدان" الأبيض المنحوت، فيسمونه "نحيت" وهو من أراضي النبك ومقالعها، ويسقفونها بخشب الحور، وهو من منتجات أرضهم، وقد امتاز بصلابته فلا يسطو عليه السوس كغيره من الحور مهما طال عهده. فيسكنونها ويتمتعون منها بتلك المناظر الجميلة.

ثم يبنون إيواناً أمام الغرف العارية المتجهة نحو الجنوب، فتتعرض لأشعة الشمس،وتظل الشمس في الإيوان الجنوبي وداخل الغرف من الصباح إلى المساء. وهذا يخفف من شدة البرد شتاءً، فلا يحرقون وقوداً في الأيام الباردة جداً. وفي الصيف يظللهم من حر الشمس، ويمدون أراضي الغرف والإيوان بطبقة يصنعونها من رماد موقد الحمام العمومي ويحسنون

صنعها لدرجة تصبح فيها صلبة كالحجروناعمة تلمع لشدة ما يدلكونها ويعتنون بها، حيث تقيم لمدة طويلة لا تقل عن العشرين سنة. وظل أهل النبك يجهلون الزجاج إلى أن اتخذت بلدتهم مقراً للحكومة، فأخذوا يستعملونه لنوافذ بيوتهم، بينما كانوا سابقاً يستخدمون الخشب لإغلاق نوافذهم، وكان البعض منهم يستخدمون الخام الأبيض، يغطون به النوافذ التي هي تحت الإيوان، فيمنع الهواء والبرد عنهم ويظل النور في الغرف.

عمرانها: كانت النبك حتى أواخر القرن الماضي محط رجال القوافل التي كانت تسير بين حلب ودمشق. وكانت محطة تنزل فيها أقوام الأعجام ، يوم كانوا يحجون إلى البيت الحرام بهذا الطريق، وكان ذلك موسماً لأهالي النبك، فقد كان الأعجام ينزلون عند أهالي البيوت القريبة من الطريق العام، وفي الصيف ينتصبون خيامهم بقرب نهرها الجاري على بعد 400 متر عن البلد، فيبادر أهل النبك ويتوارد سكان القرى المجاورة أيضاً لابتياع السلع العجمية، كالسجاد، والشال، والجوارب، والبسط، والخيل، والبغال، والأقمشة الحريرية والصوفية، وغيرها. وترى حتى الآن في بعض بيوت النبك من الأشياء المذكورة ما يدهش الناظر بحسن صنعه وإتقانه.

ومن الجدير بالذكر بأنه بعدما اتخذت النبك مقراً للحكومة، بأمر من الوالي مدحت باشا، أقامت الحكومة على رأس أحد روابي النبك سرايا عظيمة لا تزال موجودة حتى وقتنا الحاضر "سرايا النبك"، لم يكن لها مثيل في سورية حتى أواخر القرن الحالي، كما أقام الأهالي بالقرب من السرايا كل من المساكن والحوانيت والفنادق.

الحياة في النبك:

1 -**أشغال أهل النبك** : يمارس أهل النبك الفلاحة والزراعة كسائر أهل القلمون، وكان فريق منهم يمارس "المكارة" على الجمال والبغال وأحياناً على الحمير، وقسم آخر يعمل في تربية المواشي من غنم وماعز في جباله الكثيرة لأنها تمتاز بجودة مرعاها ودفئها في الشتاء مما يجعلها صالحة لتربية المواشي.

وفي السابق كان لدى أهالي النبك وحدهم حوالي ألف وخمسمئة جمل، يستخدمونها في المكارة أي يكارون عليها بين دمشق وحلب حتى أورفة وديار بكر. وكانوا يكفون

الشام مؤنتها من السمن وحاجتها من القطن، يأتون به من الجهات الشمالية مثل حلب والجزيرة، ويسافرون إلى ما هو أبعد منها، إلى عريش مصر جنوباً، والموصل ودير الزور شرقاً. ولقد كانت قوافل النبك مشهورة بقوتها ومناعتها تجاه هجمات البدو وقطاع الطرق.

القليل من سكان النبك يحترفون بعض الصناعات مثل النجارة، الحدادة، الصباغة، دباغة الجلود، عمل الحلاوة الطحينية، الحلاقة، القصابة. ومعظم الصناع كانوا بياطرة ونجارين وحدادين واسكافيين وحياكين.

2 - **مأكلهم** : يعيش سكان النبك حياة بسيطة، أكلهم من منتجات أرضهم وما تدر به مواشيهم عليهم. فيأكلون حبوب الحنطة ويصنعون منها البرغل والخبز، ويطعمون دوابهم من الشعير.

ولقد كانت الذرة الصفراء من طعامهم أيضاً بالإضافة إلى القمح، ولا يجسرون على زراعة غير هذه الحبوب، لعدم سلامتها من آفة البرد والصقيع في الشتاء. ويغرسون من الأشجار الجوز، والإجاص الشتوي، والعنب الأحمر، والمشمش.

كما زرعوا التوت، البقول، اللفت، الجزر، الفجل، القرع، الكوسا، اليقطين، البصل، الثوم، البطاطا، التفاح، الزيتون، الخيار، الخوخ، التين، الرمان، البرتقال، الليمون، الباذنجان، الطماطم.

يأكل أهل النبك من اللحم: لحم الماعز، الضأن، البقر، الجمال. ولديهم الكثير من أصناف الطعام المشهورة: (المجدرة، الكبة،الدفين، شوربة الرشتية، الشاكرية، ورق العنب).

كما يأكلون من الحلوى "دبس العنب" اللذين يصنعونه بيديهم من كرومهم، كما يشتهرون بأكلة "المغطوط" وهي عبارة عن الحليب مع خبز التنور، حيث أنهم يتركون الحليب اللذين يحلبونه في المساء حتى الصباح، فيصبح على الحليب طبقة رقيقة من الزبدة، فتأتي المرأة ومعها الخبز التنوري، وتطرح الأرغفة فوق الحليب، فيأخذ الرغيف من الزبدة ما يغطي وجهه، ثم تعود وترفع الأرغفة وتطبق كل رغيفين معاً. وبعد مرور ساعة أو نصفها يأكلونه مع الدبس. وهذه الأكلة لذيذة جداً لا يعملها إلا من كان عنده عدد كبير من

الماعز والغنم، وهم يفتخرون بها ويدعون أحبائهم وأصحابهم لتناولها. كما يصنعون الدبس، والكشك، والبرغل، والزبيب.

3 -**الولائم**: يدخل المدعوون إلى غرفة من غرف الدار بعدما يلقون السلام، وتكون الغرفة مفروشة بالسجاد أو البساط وقد مدت في جوانبها الفرش، وفوقها المرافق والوسائد المحشوة بالخروق البالية فيتكؤون عليها. ولا يكاد يستقر الداخل في موضعه حتى يبادر الحضور كل بدوره بإلقاء التحية فيرد عليه بأحسن منها.

- ❖ الموقد والوجاق: في إحدى زوايا هذه الغرفة يوجد موقد من الحجر الصلب، وفوق الموقد مدخنة من حجر ولبن وطين تسمى "الوجاق" وهي كلمة تركية، الوجاق له واجهة من حجر الكدان الأبيض المنقوش نقشة عربية جميلة، وفي هذا الموقد يشعلون النار من الحطب أو الفحم.
- ❖ القهوة: أول ما يقع عليه نظر الداخل إلى هذه الغرفة هو النار التي قد وضعت عليها أباريق الشاي والقهوة. وأمام الموقد صاحب البيت أو أحد أبنائه أو أصحابه أو أقاربه، وبيده محمصة من حديد وذات ساعد. فمتى ما فرغ الرجل من تحميص البن، حتى يضعه في هاون من الخشب الصلب ليبرد، ثم يدقه بمدقة من الخشب نفسه يسمونها "المهباج". فيدق دقاً موزوناً له أيقاع يستحسنه الحضور، حينئذ يأخذ في طبخ القهوة بشيء من الخمير المحفوظ في الأباريق (أي ما تبقى من القهوة المطبوخة سابقاً)، فيضيف إليه الماء اللازم ويغليه جيداً ويسكب منه في إبريق متخصص بالطبخ مع القهوة المدقوقة حديثاً، وحينما تنضج يضاف إليها "حب الهال" مدقوقاً، ويروقها أي يسكبها في إبريق ثالث يختص بالقهوة "البكر" كما يقولون.
- ❖ تناول الطعام: بعدما يكمل عدد المدعوين، يضعون في وسط الغرفة سفرة مصنوعة من الخشب ترتفع عن الأرض مقدار نصف ذراع، ويضعون عليها (المنسف) وهو وعاء من نحاس، كبير الحجم ، مقعر الشكل، يمتئ بالرز أو البرغل المطبوخ بالسمن. وحوله صحاف تحتوي على أنواع متعددة من الطبيخ، ويضعون أكداساً من خبز التنور، يدنو المدعوون إلى السفرة بحشمة واحترام،

ويبأدون بالبسملة، ومن مبادئهم "لا سلام ولا كلام على الطعام". وترى صاحب البيت وأولاده وأخواته واقفين وبأيدي بعضهم الماء للشرب، وبأيدي الآخرين صحاف مملوءة من أنواع الطعام. حيث يتفقدون المنسف وصحاف الطعام لئلا ينفذ ما فيها.

4 -**السهرات:** كان أهل النبك في ليالي الشتاء الطويلة يأتون بمن يحسن القراءة وله صوت جميل، فيقرأ لهم إما سيرة عنترة بن شداد، أو قصص بني هلال، أو قصة الزير سالم، أو قصصاً لا أصل لها أبطالها من الجن والمردة. يستمتعون بهذه القصص في سهراتهم وهم يتناولون القهوة والشاي، والتبغ ب"الغليون"، أو التنباك بالأرجيلة. وأحياناً يلعبون الورق. وهذه الطقوس تسمى عند أهل النبك بالسهرية.

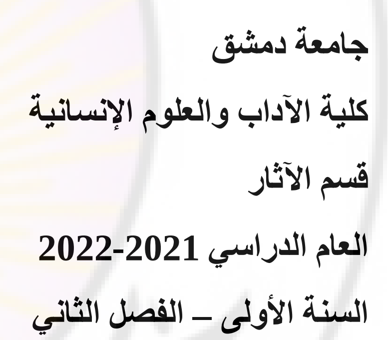
5 -**اللباس:** كان الرجل يلبس أولاً جلباباً أي قميصاً يصل إلى ما فوق أقدامه، وتحته سروالاً من الخام البلدي الأبيض، وفوق القميص صدرية أي صدرة تحيط بالصدر والظهر بلا أكمام، لها أزرار على الصدر. وفوق الصدرية صدرة ثانية بأكمام بدون أزرار. والقماش في لباس الرجل من الخام البلدي المصبوغ باللون الكحلي أو الأزرق النيلي. وفوق كل هذا يلبس الرجل أحياناً عباءة صغيرة . وفي أيام البرد تصنع العباءات الشتوية من الصوف الأسود الموشح بقليل من البياض. أما الشبان فيلبسون فوق القميص والسروال رداء كالقنباز يسمونه "صاية" من الخام البلدي المصبوغ باللون الأزرق. ويتحلون بالخواتم الفضية.

أما النساء فترتدي ثوباً فضفاضاً من الخام الأزرق، ويضعن عليه الزنار، وكان هذا الزنار أيضاً يستعمل كمحفظة، وتضع المرأة على رأسها طاقية تعصب بها جبهتها بشملة حريرية ومقصبة أحياناً، أو عصبة قطنية سوداء. وتلف رأسها بمنديل ملون بالأحمر والأسود والأصفر. وكن لا يستعملن لألبستهن سوى الأقمشة الصوفية والقطنية والحريرية المنسوجة بأيدي أبناء البلاد، وعلى أنوالهم البسيطة، كالخام البلدي والدامسكو، والعصمانية، والحامدية، وغير ذلك من مصنوعات دمشق.

6 -**المآتم:** (عيادة المريض، الوفاة)

- **عيادة المريض :** كان أهل النبك متى مرض أحدهم، وطالت عليه العلة، يتهافتون لزيارته رجالاً ونساءً. وكان على النساء أن يحملن للمريض شيئاً من الكعك أو البرتقال أو الرمان الحلو أو الأجاص الشتوي أو البطيخ. لأنهم كانوا يعتقدون أن جميع هذه الأشياء مباح أكلها للمريض، وغير مضرة به أياً كانت علته، ولا سيما إذا تماثل للشفاء ودخل في طور النقاهة. وأما إذا اشتدت عليه وطأة المرض وكان أوإذا كان وضعه خطير، فيكثرون من التردد إليه دون أن يحملوا إليه شيئاً.
- **الوفاة:** عندما تحدث الوفاة تمنع زوجة المتوفي أو والدته أو أخته من البكاء والصراخ، وتقوم بعض القريبات الحاضرات بتبديل ثياب المتوفي بثياب تكون مهيئة عند الكثيرين، مسلمين كانوا أم مسيحيين، وقد كانوا يحضرونها من مكة أو القدس يوم حجهم إليها، وبعدما يتممون إلباس الميت ثيابه، يضعونه على فرشة عالية تدعى "المرتبة" حينئذ تصرخ النساء من أهله وأقاربه مولولات، فتجتمع الناس حوله حزناً وحداداً، وبحسب أهمية المتوفي تكون شدة الندب وخفته، ويرددن أبياتاً مختصة بالمآتم يعددون فيها مناقب الفقيد، حاثات ذويه من الرجال والنساء على البكاء والحزن.

أما الرجال فيجتمعون في غرفة من غرف دار الميت وحدهم، فترى البعض منهم باكين، والبعض الآخر يتحدثون فيما يخص المأتم، فيقصون على أهل الميت قصصاً وأمثالاً عن عظائم المصاب الحالي والنوائب السالفة مماهو أعظم من المصاب الحالي. ولم يكونوا في القديم يشربون القهوة، لأنها كانت ممنوعة في مثل هذه الأحوال، خلافاً لما هو جار في أيامنا.



جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

العام الدراسي 2021-2022

السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الخامسة

د. شذى الأسعد

الصناعات الفنية في دمشق

يعد تاريخالشامحافلاً بما كان فيها من مختلف المصنوعات: كالخزو الديباج والدمقس والحبر والشال والأعبئة والشقق الحريرية والقطنية والأثواب المزركشة والنحاس المنقوش والسيوف المصقولة والقاشاني البديع والخشب المحفور أو المغشى بالصدف وغيرها كثير مما استفاضت به كتب التاريخ القديم والحديث.

ودمشق عاصمة الشام والعروبة تأتي في طليعة البلدان الشامية بمصنوعاتها النفيسة، ففيها عدد لا يستهان به من رجال الحرف المحنكين، ترى واحدهم صناع اليدين يأتيك بتحف جميلة أخاذة كأجمل ما يتحفك به أصحاب الفنون الرفيعة. وإن جولة صغيرة في سوق الحميدية بدمشق أو في المعامل المنبثة في أنحاء المدينة أو في المساجد أو في الدور المبنية على الطراز العربي لكفيلة بأن تطلع المتجول على نماذج حسنة من هذه البدائع.

ومن هذه الصناعات اليدوية:

أولاً:النساجة والحياكة: كانت دمشق من أشهر مدن الشرق بطرائف النسج الحريرية، وكان الملوك يتفاخرون بوشيها وديباجها أيام الخلافة الأموية، وكانت تحمل منها إلى الآفاق البعيدة. فقد تحدث الإدريسي عن رواجها في أيامه، وذكر المقريزي أن في دمشق صنوف

الخز والديباج النفيس الثمين والعجيب الصنعة والعديم المثال، ثم وصفها وصفا جميلاً. وكانوا يحلون الأثواب الحريرية بصور الفرسان والصيادين والطرائد وأنواع الزهور والثمر والشجر وعجائب الخطوط الهندسية. وقد عرف هذا النسيج باسم دامسكو" "Damasco"، أو داماس " Damas " بالإيطالية أو الفرنسية، والفعل " Damasser" أي نسج الثياب على الطريقة الدمشقية، ولعل لفظة الدمقس الشهيرة محرفة عن لفظة دمشق. وجاء في القاموس المحيط ثوب مدمقي أي منسوج بالدمقس. والدمقس هو الإبريسم والديباج. وقد يكون نسيج الداماس أو الدامسكو بعينه. وفي هذه الحال يكون الفعل دمقس ناظراً للفعل الفرنسي (داماسه) المذكور. وقد تبدلت الأذواق في أيامنا هذه، فاندثرت بعض المنسوجات القديمة، وجددت منسوجات أخرى ، وأنشئ في دمشق مناسج حديثة تدار أنواعها بالكهرباء، فتحيك الجوخ والشقق الحريرية على أشكال مختلفة، وقلت الأنوال اليدوية لكن ما بقي منها يخرج للناس نسجاً حريرية وقطنية غاية في جمالها ومتانة حياكتها.

فمن أجود ما ينسج اليوم بخيوط الحرير الطبيعي والصناعي الحبر الفاخرة للنساء والأعبئة والبرانس الدقيقة الحياكة والتلوين والكوفيات الموشاة بالقصب والشال الحريري والصوفي والدمقس البديع الذي يفرش على المقاعد والأرائك (الكنبات) ويستعمل ستائر للنوافذ.

ومن أجمل المنسوجات المطرزة تلك التي تسمى "الأغباني" وهي قطع رقاق من حرير تطريز بخيوط حريرية ذهبية اللون مختلفة الأشكال. وقد تفننوا حديثاً بهذه المطرزات فجعلوا خيوطها على ألوان شتى منها الفستقي والبنفسجي وكلها تنم عن ذوق وحنكة. ويستعمل الأغباني في صنع القفاطين وأثواب النوم ويصلح غطاءً للأسرة والموائد وغيرها.

وأشغال التطريز في دمشق كثيرة ومتنوعة يتفننون في رسومها وتزاويقها، أما الحرير والقطائف المطرزة بالقصب والموشاة بخيوط الذهب فقد فاقت حلب دمشق في صناعتها، كما اشتهرت بها قرية "زوق ميكائيل" في لبنان.

أما بالنسبة للبروكار الدمشقي: فهو نسيج حريري اشتهرت به دمشق كثيراً من أكثر من خمسة قرون، وهو يعتمد على شرانق حرير القز، وينسج على الأنوال اليدوية التقليدية التي توفر لهذا النسيج رقة اللحمة والسداة.

ونسيج البروكار رقيق، ناعم الملمس، مقاوم، هفهاف يصعب نسجه على الأنوال الآلية التي لا تتوفر منها رقة اللحمة والسداة، وحنات حركة المكوك اليدوية، وتعدد ألوان رسوم الجاكار التي تتطلبها الأسواق العالمية... وقد استطاعت منسوجات البروكار أن تلبي حاجات الأسواق والأذواق المعاصرة في الأزياء والديكور، والمفروشات للصالونات الكبرى، فضلاً عن الحاجات النسائية من إيشاربات وفساتين وحقائب، وربطات عنق للرجال أو لفة الخصر في اللباس التقليدي، والستائروأغطية المفروشات.

وللبروكار الدمشقي شهرة عالمية اجتازت الآفاق حتى وصلت إلى القصر الملكي في بكنغهام ببريطانيا، حتى أن ملكة بريطانيا إليزابيت الثانية في العام 1947 طللبت أن يكون ثوب زفافها من البروكار الدمشقي الموشى بالذهب والفضة.

والبروكار الدمشقي نسيج من خيوط الحرير الطبيعي. ومن هذا البروكار ما يدخل في نسيجه خيوط دقيقة من الذهب أو الفضة على أشكال رسوم الطيور والغزلان والراقصات... وهذا النسيج يتطلب جهداً ووقتاً ، فالصانع الماهر عليه أن يجلس وراء النول ساعات طويلة متواصلة ليتاح له نسج متر واحد من البروكار. وكانت تجلب خيوطه، خيوط الحرير، من منطقة دريكيش أو قرى جبال الساحل السوري.

كان نسيج البروكار، ولا سيما زخارفه، يعتمد على البد وبالإبرة، بطريقة ما يعرف ب (الغل). ومع نشوء الصناعات النسيجية الحديثة في دمشق قم (أنطون مزنر) بإنتاجه على أنواع حديثة تعتمد على الحرير الصناعي مما أدى إلى توقف الأنوال التقليدية إلا قليلاً، بسبب المزاحمة وسرعة الإنتاج ووفرته.

وتجدر الإشارة هنا إلى النول التقليدي الوحيد المتبقي في دمشق في مدرسة العظم، وكان قبلاً يمارس ضمن عائلات محددة: النعسان، النقطة، المزنر، الشكاتي، متيني. وفي خطوة جريئة قام (النعسان) بإنتاج البروكار على الأنوال التقليدية، وبالحرير الطبيعي، مع بقاء بعض الأنوال التقليدية التي تنتج البروكار من الحرير الصناعي.

ولاريب أن البروكار المنتج آلياً لا تتوفر فيه جميع الميزات التي يقدمها البروكار المنتج على النول التقليدي وبالحرير الطبيعي، ومن ثم تكون المفاضلة بينهما عند الطلب.

أنواع البروكار وزخارفه:

للبروكار أنواع مختلفة تختلف باختلاف العناصر المستعملة مع الحرير، فمن البروكار ما هو عادي (سادة) إلا أنه ملون، وترتبط هذه الألوان بالأذواق، وحسب الطلب، وهذا الطلب يختلف من دولة إفلى أخرى، فلكل مجتمع لون مفضل، فالألمان على سبيل المثال يفضلون اللون الأزرق، والسويديون يرغبون في لون الكريم (الزهر الفاتح)، والأمريكان يرغبون في الألوان الرمادية... ونقوشه عديدة بدءاً من لونين حتى سبعة ألوان في القطعة الواحدة. وتسمى النقوش بأسماء مختلفة منها: اللوزة، البندقة، بندقة منقطة، بحارى، الحيات، الراقصات، البوب، خيط عربي، معينات، ياسمينة...ومن البروكار ما هو مقصب بخيوط ذهبية أو فضية، وقد تكون تلك الخيوط من معدني الذهب والفضة. وقد تكون تلك الخيوط ينحصر في الرسوم والأشكال الآدمية أو النباتية أو الحيوانية، وقد تجتمع هذه الرسوم في مهاد نسيج واحد.

وكانت الرسوم تنفذ على القماش بالإبرة بأسلوب (الغل) كما ذكر سابقاً، ثم اتبعوا أسلوب بطاقات الجاكار، وهي عملية معقدة ترتكز على الدقة المتناهية، فهم يرسمون الشكل أو العرق النباتي على ورق (مليمتري) بعرض 5 سم، أو بعرض 20 سم في حالة النسج على نول 1400 سنارة، فيتكرر الشكل كل 20 سم، ويطبقون الرسم على ألواح كرتونية مثقبة حسب الشكل (الجاكار) تكون في أعلى النول، وتكون بطاقات الجاكار متحركة ومرتبطة بسنانير الرسم، ثم يمر المكوك الخاص بالخيوط العادية بين الأطواق، ويرفع المكوك الخاص بالخيوط العادية الأطواق، ويرفع المكوك الخاص بالرسم السنانير بعدد الثقوب.

وتجدر الإشارة إلى أن عرض القماش بين 87-90 سم، وهو غير قابل للغسيل. والنول الذي يصنع بواسطته البروكار آلة قديمة_ محدثة، مصنوع من الخشب والحديد، ارتفاعه ثلاثة أمتار ونصف، وعرضه متر ونصف إلى مترين تقريباً، يثبت عليه دولاب (رول) يلف عليه القماش المنتج. أما المكوك الذي أشرنا إليه في عملية الصنع فهو آلة خشبية على شكل مغزل، توضع داخله الخيوط الملونة التي تمثل اللحمة. أما الشبحة فهي عبارة عن كرتونة ترسم عليها النقشة بشكل ثقوب.

آلية تصنيع البروكار: توضع شلل الحرير على آلة الكبابة، فتحولها إلى خيوط على بكرات خشبية (آلة الكر)، ثم تؤخذ هذه البكرات وتوضع في آلة الزوي، وهي تجمع الخيوط من بكرتين أو أكثر على بكرة واحدة، وتسمى المزاوية، أي أن الخيط- بعد عملية الزوي- يصبح ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً.

وتوضع البكرات المزوية على آلة البرم (الفتل المولاية) حيث تفتل هذه الخيوط الثنائية أو الثلاثية بعضها على بعض لتصبح على هيئة خيط واحد مبروم وقوي. تبرم خيوط السدى عادة حوالي 500 برمة، أما خيوط الحدف أو اللحمة فتبروم أقل من 250 برمة. ثم توضع البكرات على (المسربسة) توضيح لتصنع من خيوط البكرات شللاً متصالبة تدعى (البنود). أما السدى – الخطوط الطويلة للقماش- فتحول من البكرات بواسطة طنبور كبير (إسطوانة قطرها 2-5م) إلى شلل كبيرة وطويلة يصل طولها إلى 240 م في الحرير الصناعي.

ثانياً: النحاسة والقيانة : من أشهر الصناعات النفيسة في دمشق صناعة النحاس المنقوش. ومن أشهر معاملها معمل (النعسان) في الباب الشرقي. وهي تصنع الثريات والصواني والصحاف والصحون والمشعدانات والمصابيح والتعاليق والفوانيس والكؤوس والمزهريات والأباريق والطاسات والصناديق الصغيرة وغيرها من التحف التي يصادفها المرء في الدور العربية والتي يتهافت عليها السياح تهافتهم على الأغباني والكوفيات والأعبئة الحريرية وأمثالها من النفائس. وتقوم نفاسة المصنوعات النحاسية على وفرة أنواعها وأشكالها وعلى دقة نقوشها وتصاويرها وعلى الجمل والآيات والأشعار التي تكتب فيها بالفضة وبغيرها.

وليست النحاسة من صناعات دمشق الحديثة بل هي قديمة فيها. وكثير من المصنوعات النحاسية القديمة أدق صنعاً من أمثالها في هذه الأيام. ولكن الأنواع التي تصنع فيها الآن قد تعددت، وسايرت ذوق المدينة الحاضرة ومقتضياتها، وجمعت بين المدينتين العربية والغربية، فصرنا مثلاً نرى ثريات ومصابيح نقشت بالنقوش العربية الجميلة، ونقشت عليها الآيات القرآنية والأمثال، وهي أيضاً تضاء بالكهرباء بدلاً من الشموع والزيوت.

وبما أن النحاسة بقيت محتفظة بمكانتها القديمة، فالقيانة التي يراد بها صنع بعض الأسلحة كالسيوف والخناجر قد قل محترفوها لكساد تجارها، فزال ما كان لها من الصيت الذائع والشهرة المستفيضة.

ولا بد للذي يمعن النظر في السيوف الدمشقية من أن يعجب بصفاء نصلها ورهافة حدها وجمال فرندها ووشيها، وهي تلك الخطوط والعروق الدقاق المتنوعة الأشكال، وتلك الآيات والأشعار المكتوبة بماء الذهب.

ومن الروائع أيضاً ما تحلى به قبضات الخناجر من التزاويق والتعاريج والتراصيع المختلفة. وكان الصليبيون يعرفون السيوف الدمشقية ويتقلدونها . ونقل العرب صناعة السيوف ووشيها إلى الأندلس، وانتقلت منها إلى إيطالية. وسماها الفرنج داماسكيناج "Damasquinage" نسبة إلى دمشق، وهو تنزيل خيوط الذهب والفضة في الحديد والفولاذ.

ثالثاً: الصياغة: افتن الدمشقيون في نقش الذهب وتنزيل الأحجار الكريمة فيه. وهذه الصناعة قديمة في دمشق. وهي ما برحت رائجة السوق لإقبال الناس على الحلى المصوغة. والذي يزور سوق الصياغة بدمشق يلقى فيها نماذج جميلة من الأساور والأقراط والخواتم والعقود والتيجان الذهبية المرصعة بألماس أو بغيره من الجواهر، ويلقى أيضاً ضروباً من الحلى الذهبية المرصعة على أشكال شتى كالغزلان والهلال والفراشة والمشط والزنبقة والأفعى وأنواع الطيور... وجميعها محفورة حفراً دقيقاً ومنزلة تنزيلاً يدل على ذوق وذكاء ومهارة. وكلما تبدلت أذواق النساء وألفت شكلاً خاصاً من الحلى أسرع صياغ دمشق إلى اقتباسه، وأتقنوا صنعه، وتفننوا فيه، ولهذا نرى الأنيقات من النساء وكريمات العقائل لا يبدلن بحلي الشام شيئاً.

رابعاً: الفيسفاء والقاشاني: الفسيفساء مجموعة من قطع صغيرة (من الحجارة والرخام أو الزجاج أو المعادن أو الخشب أو الصدف) تلون ألواناً مختلفة، وترصف بعضها إلى بعض، فيتألف منها نقوش ورسوم وكتابات وأشجار وأزهار وأشكال هندسية مختلفة. وتلصق الفسيفساء بالجص على الجدران والسقوف وأرض الغرف. وكان الفينيقيون والآشوريون

والبابليون واليونانيون والروم يحلون بها معابدهم وقصورهم. واقتبسها العرب عنهم فزينوا بها المساجد والقصور. وأشهر ما اتصل بنا منها تلك البقية الباقية في الجامع الأموي، وفي القبة الظاهرية بدمشق، وفي المسجد الأقصى بالقدس، وكلها من الروائع التي لا تقدر بثمن.

وفي الحقيقة أن دمشق ما برحت أن تشتمل على صناع ماهرين يصنعون الفسيفساء بقطع الرخام والحجارة الملونة ، فتتخذ حجارة لأحواض الماء في القاعات، وتفرش على الأرض حول الأحواض، وتلصق على الجدران إلى علو متر أو أكثر.

ومن دواعي الأسف أن يقل مع الزمن عدد العاملين في هذه الصناعة لقلة من ينفقون على النفائس والأعلاق في معترك الحياة الضيقة.

أما القاشاني: (نسبة إلى قاشان في إيران) فقد فقدت صناعته منذ أكثر من قرن ونصف. وهو مربعات من الخزف تكتب عليها آيات من القرآن الكريم وأشعار وحكم، وتنقش بنقوش مختلفة الأشكال والألوان، وتغطى بمسحوق من الزجاج وبعض الأكاسيد، وتشوى في أفران خاصة، فتجيء غاية في اللمعان والرونق. وكانوا يكسون بها جدران المساجد والقصور والمدارس والسلسبيلات والمدافن وغيرها. ومنها اليوم نماذج حسنة في ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي وفي التكيتين السليمية والسليمانية وفي جامعي الدرويشية والسنانية. وقد أخذ البعض من أصحاب معمل البلاط والخزف يصنعون بلاطاً عليه رسوم القاشاني وألوانه، ولكن ليس بجودة وصفاء القاشاني القديم وروعته.

خامساً: النجارة والدهان: جوز الغوطة أصلح الشجر للمنجورات العربية وأكثرها استعمالاً. فخشبه أسمر متين مكتنز إذا ما نقش نقوشاً عربية جاء غاية الجمال والصلابة والإتقان. ولهذا عد في طليعة الأخشاب في دمشق. ويأتي بعده الجوز الأمريكي وخشب التنوب (الشوح) والعرعر والسرو وغيرها مما يجلب من الأناضول وبعض البلاد الاوروبية.

ومن أجمل الصناعات الفنية التي اشتهرت دمشق بها منذ القديم تزيين جدران القاعات والأبهاء وسقوفها بالخشب المنقوش والمدهون. وتعد هذه الأخشاب وما عليها من الأصباغ والرسوم والأشعار والآيات والحكم والأمثال تحفاً فنية كثيراً ما يعمد أصحاب البيوت الجديدة إلى شرائها من أصحاب البيوت القديمة المتهدمة لتزيين غرف البيوت الجديدة بها. وذلك لأن

الأصباغ والرسوم في هذه الأيام السالفة. ومن البيوت القديمة التي اشتملت على نماذج بديعة من هذه الاخشاب دور آل العظم ومردم بك والقوتلي وشمعايا وإسطمبولية وغيرها الكثير.

ومن المعروف أن الخشب كثير الاستعمال في الدور على أشكال شتى كالكراسي والمقاعد والخزائن والكنبات والمنصات والصناديق والعلب وإطارات الصور...إلخ. فدمشق مشهورة منذ القديم بحفر خشب هذه الأمتعة وتزيينها بنقوش عربية رائعة. ولم تفقد هذه الصناعة مالها من قيمة، وقد أخذ النجارون منذ عشر سنين تقريباً يدرسون أشكال الرسوم التي كانت ترسم على الخشب في مختلف الممالك العربية القديمة (أيام الفاطميين والأيوبيين وغيرهم)، وأخذوا يحلون أخشاب الأمتعة بنقوش مماثلة لتلك الرسوم، فجاءت بهجة للناظرين. وليس نقش الرسوم الجميلة والآيات والأشعار والحكم في الخشب هو العمل الوحيد الذي اتقنه النجارين بدمشق، فتنزيل الصدف في الخشب يعد من أشهر ما عرفت به تلك المدينة. ويسمى فيها الترصيع والتطعيم. وكثيراً ما ينزلون قطع الصدف الصغار وخيوطاً وعروقاً من المعادن ومن رقاق الأخشاب الملونة، فيجيء المجموع فسيفساء أخاذة. ويشاهد المرء في بعض معامل النجارة وفي السوق الحميدية بدمشق تحفاً متنوعة من هذه المصنوعات كأدوات النرد ومنضدات اللعب والزهريات وغيرها.


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University